Telegram:@mbooks90
عبد العزيز العيسى
الرجل الذي
ما في خياله
يليه
"ذلك الطفل، كنعان"
قصص

الكاتب: عبد العزيز العيسى

عنوان الكتاب: الرّجل الّذي مات في خياله تليها «ذلك الطّفل، كنعان»

تصميم الغلاف: عبد الفتّاح بوشندوقة

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9938-74-064-6

الطبعة الأولى 2022

دار رشم للنشر والتوزيع

السعودية - عرعر - حي الجوهرة- شارع الخمسين

+ 966 54 709 470 9

rashm.ksa@gmail.com

rashm-store.com

@rashm_ksa

الإهداء

إلى كلّ من يعيش في خياله

يمكن أن يُحفظ الماء في قوارير، لكن من المستحيل أن تُحفظ فيها القصص دون أن تفسد بسرعة. فالقصص لا تعيش إلّا سائبةً في الهواء الطّلق كالحيوانات البرّيّة، لتتمكّن من العَدْوِ عارية.

أفونسو كروش

كاتب وروائيّ برتغاليّ

الفصل الأوّل
نوافذ يطلُّ منها الرّاحلون

شرارة حبّ

يواجه فوّاز مشكلة حقيقيّة في تعريف الحبّ، أو تلخيصه، أو حتّى الحديث عنه بشكل عابر. يشعر أنّه يحبّ كلّ فتاة يلتقيها، يحبّها فعلًا لا مجرّد إعجاب زائل.

ذات يوم كان يتجوّل في المدينة كما هي عادته في يوم الخميس رفقة صديقه المفرط في عاديّته. قادتهما أقدامُهما إلى ساحة الإعدام العامّة، حيث تقوم الحكومة كلّ أسبوع بجمع عدد لا بأس به من المساجين الّذين رفضوا تناول (دواء التّصالح) الّذي يمكّنهم من الانخراط في المجتمع مرّة أخرى.

وإذا به يرى فتاة تقف ضمن المساجين. شعر بالألم لأجلها. ترك صديقه العاديّ وتوغّل في السّاحة محاولًا الوصول إلى تلك الفتاة الّتي لا يعرف عنها شيئا، غير أنّ قلبه أحبّها.

أحسّ في قرارة نفسه المعتلّة، أنّها ستبادلهُ ذات الشّعور ما إن تراه. كلّ ما يُريده أن تنظر إليه. نظرة واحدة كفيلة بأن تنقذ حبّ حياته من الموت. وبعد أن تجاوز الحشود والمتجمهرين الشّاهدين على إعدام من رضوا بالموت على أن يعودوا مرّة أخرى إلى ذات المجتمع المجنون، وجد محبوبته جثّة هامدة.

Telegram:@mbooks90

في المقهى المقابل لساحة الإعدام، جلس فوّاز رفقة صديقه العاديّ، بدا حزينًا جدًا بسبب موت حبيبته.

«صدقني يا... لو أنّها كانت تعرف أو خطر ببالها أنّي أحبّها لما أقدمت على فعل ذلك. كانت تناولت زجاجة دواء التّصالح كاملة بلا تردّد، كي يتسنّى لها أن تراني وتعيش أبد الدّهر معي».

ينظر إليه صديقه العاديّ، وهو من سلّم قلبه إلى فتاة واحدة فقط –يا للعار- يشعر بالحزن تجاهه. يقول له: «أنا متأكّد من ذلك يا صديقي، لا تحزن».

قال الرّجل العاديّ كلمات كثيرة محاولًا مواساة صديقه، غير أنّ هذا الأخير لم يكن يسمعه إذ لفت انتباهه دخول فتاة للمقهى. كانت تسير بخطوات هادئة أثارت في رأسه صخبا، حتّى استقرّت في المقعد المقابل لهُ. نظر إليها فبادلتهُ الفتاة النّظر. شعر بشرارة الحبّ بينهما. وعادت الحياة إلى روحه مرّة أخرى.

***

الأشياء السّيّئة تحدث
بعيدًا عن منزلنا

يعمل أبي في وظيفة واحدة، وظيفة حكوميّة مملّة. أمّا أمّي، فتمارس مهامًا وظيفيّة متعدّدة، فهي تطبخ وتقرأ وترسم.

من نافذتي كنت أرى المدينة، ومن نافذتي أيضًا كنت أرى أحلامي، أحلاما كبيرة لا تناسبني، لكنّها تشبهني حينما أرتدي ثوب والدي الوسيع. وأحلام أخرى لا تشبهني، تبدو كأمّي حينما تضع خصلة من شعرها الأسود أعلى شفتيها لتُقلّد صوت والدي.

لم أكن تلميذا مثاليّا في المدرسة، ولكنّي كنت أحصل على درجات جيّدة، تثبت أنّني أستحقّ البقاء في مدرسة الأطفال الطّبيعيّين. ولم يكن أبي ينتظر ترقية استثنائيّة نتيجة جهوده العظيمة في الوزارة. فهو بالنّسبة إليهم مجرّد رقم وظيفيّ. أمّا أمّي فهي الاستثناء الوحيد في هذه العائلة. إنّها تتفنّن في الطّبخ كلّ يوم. ومع كلّ راتب شهريّ يزداد عدد الكتب في مكتبتها. وتصبح لوحاتها الّتي ترسمها أكثر جمالًا وواقعيّة. نحن الثّلاثة نعيش حياة عاديّة، دافئة. لم أر أمّي يوما حزينة، ولم أسمع أبي يتذمّر من وظيفته.

في المساء تُجهّز أمّي طعام العشاء بينما أبي يشاهد التّلفاز في هدوء. أقف لأتأمّل، عبر النّافذة، ما يحدث في الخارج، كأنّني أرى عالما بعيدا، مدينة خياليّة، لا أستطيع الوصول إليها. تخرج والدتي من المطبخ حاملة طبق الطّعام، متلهّفة لسماع رأيينا.

«مشهد1/ داخليّ. لقطة علويّة في غرفة جلوس في عاديّ - ليل».

أب وأمّ وابنهما الصّغير يتناولون طعام العشاء. يسمعون صوت المطر عبر النّافذة الّتي تركها الطّفل مفتوحة. تخشى الأمّ أن يُبلّل المطر الأريكة. فتطلب

من ابنها أن يغلق النّافذة. يسير الطّفل حتى يخرج من إطار المشهد. ثمّ يتلاشى صوت المطر ليعود الهدوء إلى المكان. يعود الطّفل إلى طاولة الطّعام. يتبادل الجميع النّظرات بحبّ. تعلن الأمّ عن عزمها شراء الألوان المناسبة لرسم هذه اللّقطة من راتب الشّهر الموالي. يعلن الأب أنّه سيحافظ على هذه اللّقطة دائما. يختلس الطّفل الحالم النّظر بخوف إلى الأعلى، كأنّهُ ينظر إلى الكاميرا. ويدعو الله في نفسهِ ألّا تسقط عليهم المروحة.

قطع

***

يصرخ، يتألّم، يبكي، يطلب النّجدة، ولكن بصوت غير مسموع.

الرّياح تركض في الخارج، حاملةً معها الأتربة والأوبئة والأفكار المجنونة، تنقلها من شارع إلى آخر كي يعمّ الجنون في المدينة. والوقت في رأيي قد حان لكتابة حكاية الرّجل الّذي يريد ابتلاع نفسه. قد تظنّه رجلًا عاديًا حينما تراه. ولكن ثمّة شيء مجنون داخله، لا يستطيع التّخلّص منها. إنّه يشبه كثيرًا بيوت أهل المدينة.

يصرخ، يتألّم، يبكي، يطلب النّجدة، ولكن بصوت غير مسموع. إعلان مركز الشّرطة الأخير كان واضحًا بهذا الخصوص. لن يقوموا بإنقاذ أيّ شخص حتّى يصرخ بصوت مسموع، ومن يفعل نقيض ذلك يتمّ القبض عليه.

يعمل كاتبا في المحكمة العامّة، يُدوّن بكاء الضّحيّة وحجّة المتّهم. يكتب ويكتب، حتّى ينسى نفسه. يتخيّل الأحداث الّتي يسمعها وينسى لوهلة أنّه ينقر على لوحة المفاتيح، ويشعر أنّه يعزف مقطوعة موسيقيّة ليحفّز خياله.

يرى تلك البيوت المتهالكة. يسمع صراخ النّساء وبكاء الأطفال. يرى رجلا قبيحا يخون زوجته. يودّ أن يشيح بنظره عنه. لكنّه لا يستطيع. يواصل الكتابة حتّى يتغيّر المشهد ليرى غرفة أخرى مظلمة يسمع فيها همس امرأة وضحكها المكتوم وهي تحادث عشيقها عبر الهاتف بينما زوجها ينام في الجانب الآخر من السّرير.

يعود مساءً إلى المنزل حاملًا تلك الخيانات فوق كتِفيه وقد بدا ظِلّه كالشّبح. يستلقي على سريره فتقع إحدى الخيانات على الأرض وتترك أثرا لا يراه أحد.

ينظر إلى السّاعة، ثمّ ينهض، يرتدي زيّا آخر. سيّارته لا تزال ساخنة كعقله.

يودّ أن يتزوّج، ولكنّه لا يحتمل الخيانة. يودّ أن يفسق ولكنّ ضميره لم يمت بعد. يصرخ بصوت عالٍ غير مسموع، فلا تساعدهُ الشّرطة.

يجلس في العيادة السّرّيّة، حيث يقوم بإخراج السّموم من جسده. ينظر الطّبيب إلى حجم الأشياء في داخله، فيكتب له وصفة يطلب فيها منه جلستين في الأسبوع بدلاً من جلسة واحدة. وبعد مغادرة غرفة إخراج السّموم، يرتدي الرّجل الّذي يريد ابتلاع نفسه ملابسه ويجلس قبالة الطّبيب. يجلس الطّبيب في مكتبه، يضع قلمه على الطّاولة ويُنزل نظارته على أنفه كي لا يرى تعابير وجه المريض، ويقول بحزن: «لا يمكن لإسفنجة أن تصاب برهاب الماء».

لا يستطيع الطّبيب أن يرى بوضوح، ولكنّ صمت المريض كان كافيًا، لكي يقوم بتبسيط حديثه: «عليك أن تترك وظيفتك، عقلك يحتاج إلى راحة، يحتاج أن يرى ويسمع أشياء جميلة».

صوت نبضات قلب الدّكتور، يتزامن مع صوت عقارب السّاعة على الحائط. يضع الطّبيب نظارته على عينيه ليرى المريض، لكنّه كان قد رحل.

في صباح اليوم التّالي وكما هي العادة، يقرأ القاضي ملفّات القضايا على مكتبه. يلفت انتباههُ ملفّ قضيّة صادرة من مركز الشّرطة ضدّ رجل يعمل معهم في المحكمة العامّة، ولكنّه لم يتعرّف على اسمه. قُبض عليه مُتلبّسًا وهو يصرخ بصوت غير مسموع.

***

فرحة

لو كان شخصيّة في فيلم أو رواية، لما تجرّأ كاتبها على وصفهِ بشخصيّة حسودة. ولكنّه في ذلك اليوم رغِب بشكل مُلحّ، في سرقة تلك الفرحة الّتي يحملها زميله أحمد، إذ كان هذا الأخير يبتسم في الممرّات، وتضحكه جميع الأحاديث السّخيفة في المكتب، ويشارك بشغف في كلّ حوار عقيم.

وبينما يتظاهر صالح بممارسة عمله، فإنّه كان ينظر إلى أحمد بتركيز على غير العادة، فهو لا يحرص على بذل كلّ طاقته في العمل، بل كان يتأمّله وهو يعمل. وكان يردّد في نفسه «آه كم يبدو سعيدًا».

وحين تُعلن ساعة المكتب الثّانية عشر، ينهض أحمد كبقيّة الموظّفين في الإدارة ليحصل على طاولة ممتازة يتناول فيها طعام الغداء. وما إن يخرج آخر موظّف في القِسم، يهرع صالح مسرعًا إلى مكتب أحمد. يُفتّش بحذر، باحثًا عن تلك الفرحة. ولكن يا لخيبة الأمل، لا يجدها.

في قاعة الطّعام، يتقدّم صالح بخطوات خجولة إلى أن يقف أمام الطّبّاخ. يحمل طعامه وينظر في أرجاء القاعة بتركيز باحثًا عن طاولة مناسبة. في تلك اللّحظة تقع عيناه على أحمد الّذي لا يزال يحمل تلك الابتسامة على وجهه. «أخذها معه!» ردّد صالح في سرّه، قبل أن ينصرف بغضب ليأكل في مكتبه.

***

أمنية

الثّالثة فجرًا. الكواكب تدور في الفضاء. الجبال نائمة. المُحيط أمواجهُ تتلاطم. اللّيل يجري بسرعة، كي يُطفئ جميع الأمنيات قبل بزوغ الشّمس. تجلس أمل على حافّة سريرها، تفكّر في حلم راودها في منامها. تتحقّق أحلامها في أغلب الأحيان. وهذا أمرٌ يُخيفها للغاية.

بعد وفاة أبيها في العام الماضي، أصبحت تعيش مع والدتها في منطقة جبليّة معزولة. في الماضي كانت تتسلّق الجبال الشّاهقة، تنظر إلى الأرض من الأعلى، وهناك، هناك فقط، كان كلّ شيء يبدو سخيفًا، ضئيلًا، بلا قيمة. المنازل صغيرة للغاية، والرّجال المنتشرون في السّوق تكاد لا تراهم. حينها تفكّر بقلق: كيف سيكون شكل المشاعر من الأعلى؟

خرجتْ من غرفتها في تلك اللّيلة المظلمة خائفة ومضطربة. تجوّلت في كامل المنزل دون هدف، تتحسّس الأشياء بيديها لتتأكّد من وجودها، أو لتبثّ الحياة فيها -من يدري-. تنظر إلى القمر عبر النّافذة، ثمّ تجلس بهدوء في قاعة الجلوس لا تدري ماذا تنتظر.

مرّت ثلاث ساعات. والشّمس لم تشرق بعد. مازال اللّيل يُطفئ الأمنيات في الخارج. رأت في منامها أنّ الشّمس لن تشرق اليوم. أخبرت والدتها بما رأت: الصّباح لن يأتي. وسرعان ما انتشر الخبر في القرية كلّها. صار النّاس يصيحون بهلع (لن تشرق الشّمس اليوم).

وفجأة خلَا السّوق من البضائع، لم يجرؤ أحدٌ من التّجار على دخول القرية، انتشر قُطّاع الطّرق في كلّ مكان. جميع المنازل تقريبًا تعرّضت للسّرقة، كلّ شيء سُرِق، باستثناء مشاعر الخوف الّتي يحملها النّاس في صدورهم.

وفي وقت لاحق من صباح ذلك اليوم المظلم، اجتمع النّاس أمام منزل قاضي المحكمة المتوفّى، يطلبون من السّيّدة مرام مغادرة القرية هي وابنتها الملعونة.

فهم يرون أنّها سببٌ في ما حلّ بالقرية.

ما لبث أن تلاشى غضبهم بعد زمن قصير فتفرّقوا. اقتربت أمل من والدتها بخطوات خجولة، وقالت بخوف: «أنا السّبب في ما حدث.

- يا صغيرتي، لا ذنب لك في أحلامك الّتي تخبرك بما سيقع قبل أن يحدث».

تنهّدت أمل وقالت بنبرة حزينة:

- لا، ليس بسبب حلمي. ليلة البارحة، قبل أن أنام تمنّيت أُمنية، لا أظنّ أنّ اللّيل قادرٌ على إطفائها.

***

حتّى الأفكار تتكاثر

بوجود بعض الأشخاص حولك، قد تهرب الأفكار فلا تقترب منك. ولكن حينما تكون بمفردك، فإنّك مجرد فريسة سهلة لها.

في الإدارة تكاد شعبيّتي تفوق شعبيّة المدير العامّ. أستمع دومًا وبكلّ حبّ إلى أحاديث الزّملاء، فأسرق قصصهم خِلسةً وأحتفظ بها، أفكّر فيها وأقترح حلولًا مثاليّة لمشاكلهم. أناقشها مع زملاء آخرين يطرحون بدورهم مشاكل مشابهة حدثت لأقاربهم أو معارفهم. وبذلك يصبح لديّ مخزون هائل من القضايا والمشاكل كلّ يوم، كاف لأسبوع كامل.

وذات يوم عاديّ وأنا في العمل، كنت أتجاذب أطراف الحديث مع أحد الزّملاء كما هي العادة، قبل أن يتمّ استدعائي من قِبل مدير الإدارة. كثير من الأفكار أصبحت تعتمل في ذهني، ولكن لم تطفُ أيٌّ منها على السّطح. كانت المرّة الأولى الّتي أدخل فيها عبر ذلك الباب الخشبيّ العملاق بعد ثلاث سنوات من العمل.

دخلت المكتب بقلق، فسألني المدير فور دخولي: «ماذا تعرف عن أبي صالح».

فكّرت لوهلة. حينها تذكّرت أنّ أبو صالح يعاني من مشاكل عصيّة مع شركة الكهرباء، آه! يا لهُ من مسكين! تمّ إصدار فاتورة فلكيّة على عدّاده، ولم تُسفر محاولاته في مواجهة الشّركة عن أيّ نتيجة سوى أن قاموا بجدولة مبلغ ثمانية آلاف ريال ليدفعها في مدّة أقصاها سبعة أشهر. في تلك الأثناء أردف المدير بنبرة هادئة: «لا تخف، قل الحقيقة.. أنا في الواقع أرغب في ترقيته، لا أريد إيذاء أحد».

لمّا شعرت أنّه في مزاج جيّد قلت في تملّق: «لم أفكّر في ذلك على الإطلاق، أنت لا تؤذي الموظّفين يا سعادة المدير، والجميع يشيد بحسن معاملتك وزُقيّ خُلقك».

- يا لك من ثرثار! كأنّك زوجتي. اِسمع يا رجل، أنا أعلم أنّك مُقرب من جميع الموظّفين في الإدارة، ولذلك أسألك، فهل تعتقد أنّ أبو صالح جدير بالترقية؟

- بالطّبع، أبو صالح جدير بالترقية، ناهيك أنّ لديه مشاكل ماليّة، يا سيّدي، أنت ستُفرّج عنه كربته بهذه الترقية.

قال المدير بغضب:

- أنا لا آخذ ظروف الموظّفين في الحسبان، رجلٌ في منصبي يجب ألّا يُدخل العاطفة في قراراته، وإلّا ما الفرق بيني وبين الأستاذة عهد إذًا؟

- من هي الأستاذة عهد؟

- وما شأنك أنت بذلك؟ اِذهب الآن، ولا تقل شيئا لأبو صالح، فأنا لم أتّخذ قراري بعد.

خرجت من مكتب المدير قاصدًا زملائي في الإدارة لكي أخبرهم بما جرى. أخيرًا أصبحت الرّجل صاحب الحادثة الأهمّ في اليوم، الحادثة الّتي سيتناقلها الجميع. ولكن، مهلًا، لماذا أخبرهم؟ إنْ فعلت ذلك سأخذل ثقة المدير فيّ. نعم المدير العامّ بنفسه أصبح يستشيرني في عمله، يا لها من مسؤوليّة عظيمة تقع على عاتقي الآن.

هل تعلم ما الّذي حدث للثّوّ؟ مصير أبو صالح كان بين يديّ، نعم. كان بإمكاني تشويه سمعته، وتحسين سمعة رجلٌ آخر كي يحصل على الترقية بدلا منه. أبو سند على سبيل المثال، نعم أبو سند، رجلٌ شهم، وفي الواقع هو الآخر مسكين. زوجته تعمل مُعلّمة في الدّمام وهو هنا وحيد. يتحمّل مصاريف أموال مدرسة ابنه سند ومصاريف الرّوضة لابنه الصّغير، وسائق زوجته، ناهيك عن مشقّة السّفر الأسبوعيّ. الترقية لن تفيده كثيرًا ولكنّها سترفع من معنويّاته بلا شك.

وهنا تنتهي أسطورتي، وتبدأ قصّتي الحقيقيّة الّتي أكتبها لكم. فمنذ تلك

الحادثة، لم يعد أحدٌ في الإدارة يرغب في التحدث معي، أصبحوا يتفرّقون كلّما وقفت بجانبهم، كأنّني فكرة مُخيفة. ظنّ الجميع أنّني أتجسّس لحساب المدير العامّ، لسماع أحاديثهم ونقلها إليه.

تقدّمت بطلب نقل إلى إدارة الأستاذة عهد، ولكنّ فضيحتي المزعومة، تجاوزت مُحيط الإدارة، وتناقلها جميع موظّفي الوزارة، ولم يقبل أحد طلب لجوء عزيز قومٍ ذلّ.

قضيت أسبوعا جيّدا بسبب محصولي الّذي كنت أحتفظ به، ولكن بعد ذلك عادت كلّ الأفكار المُخيفة الّتي كنت أخشى مواجهتها، بأشكال وألوان أكثر من قبل، كأنّها تكاثرت في رأسي.

***

الرّجل الّذي مات في خياله

مات السّيد فرقان في تمام السّاعة السّابعة صباحًا من يوم الأربعاء. مات وحيدًا في شقّته الّتي تقع في الطّابق الثّالث في عمارة متوسّطة الطّول، وحتّى يشعر بالرّاحة في قبره، عليّ القول بأنّه كان ينام كلّ يوم فوق غرفة السّيدة «عين باء» الّتي كان يحبّها في خياله. كان يستيقظ مبكّرًا كي يروي عطش عينه برؤيتها وهي ذاهبةً إلى عملها في الصّباح.

لم يكن يملك الكثير في حياته، لا شقّة ولا سيّارة ولا حتّى قطّة. ولكنّه ملّك شيئا أثمن من كلّ ذلك، لقد ملّك خياله. عمل أواخر حياته في الرّئاسة العامّة لنزع المشاعر. وهي خطّة حكوميّة حديثة لم يتمّ الإعلان عن وجودها بشكل رسميّ. كان يعمل فرقان في الدّور العاشر تحت الأرض وتحديدًا (قسم المشاعر العاطفيّة).

يقوم بحذف جميع الذّكريات والمشاعر العاطفيّة من عقول المغرمين التّائبين، المستنزفة مشاعرهم. حيث يقوم الحبيب التّائب بالتّقدّم إلى الرّئاسة بطلب حذف مشاعره العاطفيّة. وبناءً على ذلك يقوم فرقان بدراسة الحالة ومدى أهليّتها لتلقّي العلاج ومن ثمّة يتّخذ الإجراء الّذي يراه مناسبًا: إمّا بالموافقة على الحالة أو رفض الطلب بحجّة عدم استنزاف جميع المشاعر بعد.

لم تكن وظيفة مرموقة ولكنّها كافية لتجعله يدفع إيجار شقّته وأقساط سيّارته المسجّلة باسم معرض السّيّارات وشراء طعام القطط لإطعام قطّة جاره المسافر. لم يحيا حياة رائعة، ولكنّها حياة جيّدة بالنّسبة إلى رجل يشعر بأنّه مربّع الشّكل في عالم دائريّ.

ذات يوم وقف على حافّة سطح العمارة، ولاحظ أنّ الأرض لم تكن بعيدة إلى الحدّ الّذي قد يكون سببا في موته دون ألم. حينها تذكّر قصّة قد قالها له أحد زملائه في العمل في قسم مشاعر الكره والنّميمة، عن أحد أقربائه: حاول الانتحار

ولم تنجح خطّته كما كان ينبغي لها، وانتهى به الحال مشلولًا مدّة عشر سنوات من باقي حياته قبل أن يموت بمرض تافه.

حينها عاد إلى شقّته وتذكّر أنّه لم يتناول طعام العشاء بعد. كان يعتقد قبل انتحاره أنّ سُبل البقاء هذه غير مهمّة. وأثناء تناوله العشاء، فكّر أنّه يحبّ ويعمل ويربّي قطّة في خياله، فلا مانع من الموت فيه أيضًا.

***

ثلاثة رجال وامرأة

في غرفة انتظار دائريّة، يجلس ثلاثة رجال وامرأة، ينظرون إلى أثاث الغرفة العاديّ باهتمام مفتعل، خوفًا من أن ينظروا إلى بعضهم البعض دون قصد. إعلان الوظيفة لم يحدّد الجنس لذلك بدأ الشّك يتسلّل إلى قلب فاطمة وصارت تشعر كأنّها دخلت سهوًا دورة مياه الرّجال. أمّا بالنّسبة للرّجال الثّلاثة، فكانوا يتمنّون ألّا يكون مدير الشّركة زير نساء وإلّا فلن ينظر إليهم، وستكون الوظيفة من نصيب تلك المرأة الّتي تجلس أمامهم.

انتظروا في تلك الغرفة ساعات طويلة. ثمّ بدأوا ينظرون إلى بعضهم البعض نظرات استنكار وقلق. وفجأة، نهض أحد الرّجال الثّلاثة وقال بنبرة غاضبة:

- سأذهب للتّحقق من الأمر، فمن غير المنطقيّ أن يتركونا هنا كلّ هذا الوقت!

وبمجرد خروج الرّجل شعر البقيّة بالارتياح. ولكنّ ذلك الارتياح لم يدم طويلًا، فالرّجل غاب نصف ساعة. بدأت فاطمة تتذكّر الموقع الّذي وجدت فيه إعلان الوظيفة وتتساءل بقلق في نفسها عن إمكانيّة أن يكون إعلانا مزيّفا وهو ليس سوى كمين لخطفها. كان لصوتها الدّاخليّ صدًى عالٍ في تلك الغرفة الدّائريّة. وسرعان ما انتقل وباء القلق إلى الرّجلين لينهض أحدهما فورًا بعد حرب دامية في رأسه. تردّد في بادئ الأمر وثبت في مكانه لوهلة، ولكنّ جلوسه بعد الوقوف لم يكن من خياراته كرجل، ولو قُتل دون ذلك. تسمّر أمام الباب، نظر إلى الجانب الأيمن من الممرّ، وبتصرّف طبيعيّ نظر إلى الجانب الأيسر، حينها تحرّك بسرعة مندفعًا في ذلك الاتّجاه.

شعر أحمد بأنّ هناك خطبًا مّا في الجانب الأيسر من الممرّ، وراح يبحث في ذاكرته قصيرة المدى عن الاتّجاه الّذي سلكه الرّجل الأوّل، ولكنّها لم تسعفه. فتّش في الذّاكرة طويلة المدى، ولكنّها لم تحتفظ بمشهد عابر كهذا. لمح المرأة تنظر إليه بتركيز كأنّها تنتظر أن يتصرّف كحال الرّجلين اللّذين سبقاه، أو هذا ما شعر

به على الأقلّ.

اندفع نحو الباب فجأة، ومع كلّ خطوة يخطوها كان عقله يبني تصوّرات مختلفة عمّا يوجد في الجانب الأيسر من الممرّ، وتوصّل إلى أنّ المدير يجلس هناك منتظرا من يخرج أوّلًا من الغرفة كنوع من الاختبارات ليدرس من خلالها إقدام المرء ومبادرته وما إن أصبح بمقدوره رؤية الممرّ حتّى أدار رأسه إلى الجانب الأيسر، وانطلق فورًا دون أن ينظر إلى فاطمة الّتي كانت تراقبه بتوتّر.

بقيت وحيدة في تلك الغرفة. شعرت بالخوف فأخرجت هاتفها واتّصلت بوالدها. وقبل أن يكمل الاتّصال نداءه الأول، أغلقت الخطّ. راجعت الأمر مع ذاتها، لا تستطيع أن تحادث والدها وهي في موقف كهذا، فهذه أوّل مقابلة وظيفيّة تحصل عليها بعد ثلاث سنوات من تخرّجها. ولا ترغب في قول الحقيقة، فتضيع منها أوّل فرصة، وقد تكون الأخيرة، للحصول على وظيفة.

استجمعت ما تبقّى من قواها وذهبت لترى ما يحدث في ذلك الممرّ بنفسها. وجدت أمامها لوحة كبيرة كُتِب فيها:

(تمّ نقل المقابلات الوظيفيّة

إلى قسم الموارد البشريّة في الطّابق الثّالث)

تأمّلت اللّوحة بغضب، ثمّ ذهبت مسرعة من الجانب الأيسر من الممرّ دون أن تنظر خلفها.

***

أشياء فاسدة

لحظة صمت مهيبة، لا أسمع فيها سوى صوت أنفاسي العالية المندفعة من فمي إلى نافذة المِنور. وفي تلك اللّحظة رنّ هاتف الرّجل الّذي كان يتحدّث طوال اللّيل مع نفسه. ظلّ هاتفه يرنّ وهو يتجاهله. ثمّ أكمل حواره بهدوء دون أن يعتذر عن المكالمة كما يجبرنا مبدأ اللّباقة أن نفعل.

«أتذكّر تلك اللّيلة، أتذكّرها بشكل آسر وغير قابلٍ لعبث العقل بالذّكريات الجميلة. أتذكّرها جيّدًا يا سيّدي. فهي ساعات ممّا نعِد، ولكنّها في تلك اللّيلة كانت أشبه بأجزاء متلاشية من الثّانية. تمنّيت حينها وعلى غير العادة ألّا ينقضي الوقت، نعم. تمنّيت ذلك، أنا الّذي عشت حياتي كلّها أشعر أنّي متورّط بهذا الكمّ الهائل من السّاعات. رجوت الله لحظتها أن تتجمّد تلك السّاعة، ونذرت أن أتبرّع بكلّ ما أملك من ساعات للأمّهات العاملات، اللّاتي لا يجدن الوقت لأنفسهنّ. وعلى الجانب الآخر، كأنّني محيط يلتقي فيه بحران لا يجتمعان. كنت أرجو لو تنشقّ الأرض لحظتها وتبتلعني، تبلتعني كأنّني وجبتها المفضّلة. هل تعرف ذلك الشّعور يا سيّدي: أن ترغب في فعل معصية، ترغب فعلًا في فعلها، ولكنّك لا تستطيع».

صمت الرّجل لوهلة. سمعت صوتا يصدر من الشّقّة، رأيت صورة أعرفها جيّدًا، صورة الرّجل يشعل سيجارته الثّالثة في هذه اللّيلة. ورأيته وهو ينفث الدّخان في الفضاء. ثمّ تنهّد بصوت مسموع، وكأنّ هناك أشياء في داخله تدافعت لتهرب من جسده، برفقة دخان السّيجارة.

بعد ثلاثة أيّام سأكمل الشّهر الأوّل في هذه الشّقّة الّتي انتقلت إليها مؤخّرًا، ولا شيء يشغل تفكيري سوى تلك الأصوات والاعترافات الّتي تصدر من الشّقّة الّتي لا يفصلها عن غرفتي سوى نافذة صغيرة، تطلُ على المنور. أعود كلّ يوم من عملي وأتسمّر بشغف أمام تلك النّافذة، كأنّها نافذة سحريّة تفتح على عالم آخر، لا

يشبه العالم الجميل الّذي نعيش فيه، عالم مليء بالخزي وشحيح بالمسرّات.

أفكّر كثيرًا في ذلك الرّجل الّذي يسكن تلك الشّقّة، لا أعرفه ولم ألتق به أبدًا. أعتقد أنّه معالج روحيّ، أو طبيب نفسيّ، أو رجل أبكم. لم أسمعه يومًا يردّ، أو يواسي، أو يفرح من أجل أحدهم. يأتي المتخبّطون يفرغون ما في أرواحهم ويخرجون، دون أن ينطق بحرف واحد. ولكنّني أعرف جيدًا تلك الأشياء الفاسدة والمعطوبة، الّتي يتركها أولئك المتخبّطون في شقّته كلّ يوم.

***

مساحة خروج

في طفولته، كان حسين يُعاني من صعوبة بالغة في التّحدّث. الحروف تعلق في فمه لا تودّ الخروج. تُمسِك بأسنانه بكلّ ما تملك من قوّة، وفي المقابل يحاول هو بكلّ قوته أن يدفعها إلى الخارج. وتلك المعركة تتطلّب جُهدا ونفَسا لا يُستهان بهما، حتّى أنّه ما إن ينهي جملة صغيرة مثل (الحمد لله) حتّى تشعر أنّك مضطرّ أن تشكر الله أنّه لم يبتلِك بما ابتلاه.

قرّر ذات يوم أن يجد حلّا لهذه المشكلة. فقصد عيادة طبيب الأسنان. ولأنّ الشّرح سيطول والأحرف ستتشبّث بأسنانه كالعادة، لم يخبر أحدًا من عائلته بذلك.

جلس على كرسيّ طبيب الأسنان. أغمض عينيه وجمع يديه معًا ليشكّلا قوّة متحالفة، وقال بصعوبة بالغة للغاية: «أريدك أن تقتلع أسناني». توقّف ليلتقط أنفاسه. حينها رأى الطّبيب المذهول الّذي سأله فورًا «لماذا تودّ فعل ذلك؟».

تنهّد حسين بغضب، وضمّ يديه مرّة أخرى، ليخوض هذه المعركة للمرّة الأخيرة كما يأمل: «حتّى تخرج الحروف من فمي». ولكنّهُ ما إن أنهى جملته حتّى باغتته دموعه. صرخ في نفسه، هناك حيث لا تعلق الحروف في أسنانه: (يا لهُ من جسدٍ معطوب).

حاول الطّبيب النّظر في كلّ مكان، إلّا في عيني حسين الغارقة بالدّموع. قدّم له منديلا، ومسح على رأسه كي يواسيه، وبالطّبع لم ينفّذ لهُ طلبه الغريب.

حين خرج من العيادة، شعر حسين برغبة كبيرة في التّجوّل وحيدًا. كان يحبّ الوحدة والتّفكير في شتّى أمور الحياة، والتّفكّر في حال البشر والنّجوم. ليس حبًا في الفلسفة، بل لأنّهُ الأمر الوحيد الّذي يكون فيه طليق اللّسان.

عاد إلى منزل عائلته. لم يسألهُ أحد عن سبب تأخّره فلا وقت لديهم لذلك.

تناول طعام العشاء بصمت ثمّ ذهب إلى غرفته. تأمّل المروحة الصّفراء فوق رأسه، حينها قرّر ألّا يُجبر الحروف على الخروج بعد الآن.

***

قلعة مهدّمة

في تمام السّاعة الخامسة صباحًا استيقظت من نومي كالمجنون أردّد عبارة سمعتها في منامي. كرّرتها مرّات عدّة كي يعلو صداها ولا تضيع في دهاليز العقل. ولكنّي ما إن استقمت أمام مرآة الحمّام أنظر إلى وجهي كما لو أنّي أنظر إلى وجه رجل آخر، حتّى تلاشت العبارة. لقد نسيتها تمامًا.

وكلّ ما أتذكّره الآن هو جزء بسيط منها، كقلعة مُهدّمة لم يتبقّ منها سوى برج واحد، يجعلك تُدرك وجود ثلاث أبراج أخرى ولو لم ترها.

في الصّباح، لبست ثوبا أبيض وشمّاغا أحمر وحذاءً أسودَ أنيقا. عند السّابعة والنّصف، كنت في مكتبي للعمل، ورغم أنّي وصلت مبكّرًا على غير عادتي وذلك من شأنه أن يُمكّنني من استراق بعض اللّحظات لارتشاف كوب قهوة والاستماع إلى أحاديث زملاء القسم المبكّرين مثلي. غير أنّني بقيت جالسًا على كرسيّ مكتبي الّذي لا يدور.

وفي اللّحظة الّتي قرّرت فيها عدمَ الذّهاب، قدِم إليّ زميل يُدعى نايف. هو يحبّ الحديث معي. ويشهد الله أنّه حبّ من طرف واحد. يبلغ نايف الواحد والثّلاثين من عمره، ويشعر بحاجة ملحّة إلى الزّواج، ليس برغبة اجتماعيّة أو جنسيّة، لا. بل يشعر أنّه أصبح في السّنّ المناسب للزّواج ولا يودّ أن يفوته القطار. يشعر كما لو أنّه تفّاحة نضجت ولا تستطيع السّقوط.

جلس بجانبي بهدوء ولم يخبرني كما هي عادته، عن آخر الفعاليّات والحفلات الّتي تحدث في المدينة، فعلمت أنّ هناك خطبًا مّا. نايف الآن يُفكّر، وهذا أمر خطير للغاية. فسألته فورًا عن سبب صمته.

نظر ناحيتي ولستُ متأكّدًا ما إذا كان يراني. وقال بهدوء: «أتعرف فتاة تدعى منال؟».

لم أجبه على الفور. أخذت وقتًا يتناسب مع غرابة السّؤال. في الواقع ندمت أنّني أخرجته من صمته. ثمّ أعدت سؤاله: «هل أعرف فتاة تدعى منال؟».

سمعت سؤاله من المرّة الأولى ولكنّني أردت التأكّد أنّني أفقت من شرودي.

قال وكأنّ هناك زجاجة عالقة في حلقه. «قابلت فتاة ليلة البارحة تدعى منال، في برنامج: لا تخبرني من أنت».

صمتَ لوهلة قبل أن يكمل باسترسال..

«كانت فتاة جميلة، وسريعة البديهة.. ضحكنا سويًا لساعات طويلة، أنت تعلم أنّ البرنامج يخصّص ساعة واحدة فقط لكلّ لقاء، ولكنّنا بقينا نتحدّث ثلاث ساعات، تخيّل! ثلاث ساعات كاملة».

قلت بصوت غير مسموع: «ذلك منطقيّ لأنّك جزء من المحادثة».

«شعرتُ كأنّها جزء مفقود منّي وعثرت عليه. قبل ليلة البارحة كنت إنسانا كاملا أمّا الآن، فأنا لستُ سوى نصف إنسان، حتّى ألتقي بها مرّة أخرى. لم تخبرني بغير اسمها، منال. يا لجمالها وعذوبة روحها! لم تعطني عنوانها أو رقم هاتفها، كانت خائفة بسبب قوانين البرنامج كما تعرف. ولمّا خرجنا من المؤسّسة حاولت مقابلتها، ولكنّني لم أجدها. الشّارع كان خاليا تمامًا، اختفت».

توقّف فجأة عن الحديث فشعرت أنّ دوري في الحديث قد حان كما لو أنّنا نمثل مسرحيّة مرتجلة، فقلت بصوت منخفض: «لا تنس أنّها غامرت بفقدان عضويّتها وأخبرتك باسمها على الأقلّ رغم أنّ ذلك مخالف لقوانين البرنامج».

Telegram:@mbooks90

صمتَ لوهلة ثمّ قال بحسرة: «ولكنّ ذلك يشبهُ قلعة جميلة، ولكنّها مُهدّمة لا ترى منها سوى برج واحد. أريد أن أرى الأبراج الثّلاثة الأخرى. أريد أن أرى تفاصيل القلعة من الدّاخل، أريد أن أسير في ممرّاتها وأتحسّس جدرانها، أودّ أن أرى الفوانيس الّتي تُنير القلعة وتزيّنها كما تزيّن النّجوم السّماء. أريد أن أرى

قصر أمير القلعة، وإنارة المسجد البيضاء الّتي تُرى من كلّ زاوية في القلعة. اسم القلعة لا يكفيني ولا يُشبع عطش روحي، أنا أريد القلعة كلّها، هل تفهمني؟».

نظرت إليه بذهول، غير مدركٍ، هل هو من يتحدّث، أم أنّني أتخيّله يفعل. ولكنّني شعرت للمرّة الأولى أنّني أعي ما يجابهه نايف.

لم يخاطبني بعد حديثنا هذا. ظلّ يعمل طوال الوقت على جهازه. فشعرت أنّني أصبحت أحبّ فتاة تدعى منال، تلك الفتاة الجميلة الّتي تُبقي نايف بعيدًا عنّي، تائهًا في قلعته المهدّمة.

***

المُعضلة الأزليّة

لم تكن لديه مخاوف تجاه فكرة الموت. فقد عاش حياتهُ كلّها وهو يؤمن بأنّ الموت محطّة أساسيّة يجب التّوقف عندها لإتمام الرّحلة. ولكنّه تمرّد في تأمّله وأصبح يتلهّف لرؤية تلك اللّحظة الّتي ستغادر فيها الرّوح الجسد، ليذبل ويقع على الأرض. أصبح تائهًا في المعضلة الأزليّة.

يقف مساءً في حمّام غرفة النّوم، ينظر إلى جسده في المرآة. يطيل النّظر. يحرّك عينيه في اتّجاهات عدّة وكأنّه يختبر سرعة العقل في تنفيذ أوامره. يفتح فمه على اتّساعه راغبًا في رؤية الرّوح، لم يرها يومًا ولكنّه يؤمن أنّها هناك في الدّاخل.

يفتقد الأجوبة في عالم مليء بالأسئلة، والمعادلات غير المحلولة. لم يعد يهتمّ بجسده ولا بمشاعره الدّاخليّة. فكما يجتمع النّاس مرّة كلّ سبعين سنة لرؤية شهاب أو نيزك يمرّ بالأرض، يرغب هو أن يرى ذلك الحدث الّذي ستغادر فيه الرّوح جسده. يضرب نفسه بقوّة ويتساءل بقلق عمّن يتألّم الآن، هل هي الرّوح أم الجسد؟

يخرج من الحمّام هادئا رغم الضّجيج الّذي في داخله. ينظر بهدوء إلى زوجته الّتي تجلس على حافة السّرير، تراقبه بقلق خائفةً عليه، ولكنّها لا تتحدّث معه بهذا الخصوص.

وضع قدما على السّرير وألحقها بالأخرى، لتقول زوجته وهي تنظر إليه باهتمام: «كيف كان يومك يا روحي؟».

أجابها إجابة لا تُرضي السّائل العابر فما بالك بزوجة خائفة. استلقى على الطّرف الأيمن من الفراش حيث ينام، وولّى وجهه ناحية الجدار بخوف، فارتعشت روحه لما سمعه للتّوّ، وأصبح يفكّر بخوف (إذا كنتُ أنا روحها، فماذا يوجد بداخلها؟).

الرّجل الّذي يسكن الطّابق العلويّ

لم يكن موقع الشّقّة مناسبًا، ولم يكن الأثاث الموجود جميلا، ولم تكن مواسير الحمّام من ذلك النّوع الّذي قد يحفظ الماء السّاخن في الشّتاء، المواسير ممتدّة من الممرّ إلى داخل الشّقّة. وكان ذلك منظرا شاعريّا بالنّسبة إلى حالتي المادّية السّيئة. فقبلت بها فورًا، وقلتُ في نفسي وأنا أقف بجانب صاحب العمارة (هذه مميّزات لا تتوفّر في كلّ الشّقق. إنّها شقّة استثنائيّة).

وبلا مقدّمات، أخبرني صاحب العمارة أنّ في الشّقّة العلويّة رجلٌ غريب. ولكنّه لا يستطيع طرده بسبب علّته، وقال متلعثمًا كأنّه لم يكن يريد الإفصاح عن هذا الأمر ولكنّه فعل، حين سألته: «وماهي علّته؟

- هل قلت أنا علّة؟ هي ليست علّة بالطّبع، أعني ليس به خطب مّا. لا تقلق. كلّ ما في الأمر أنّه مختلف. هو يسكن في الطّابق العلويّ، سترى الأمر بنفسك. الآن عليّ الانصراف، إذا احتجت شيئا أخبرني بذلك وسأسعد بخدمتك».

لم يتحرّك من مكانه بعد أن أنهى حديثه المضطرب. ضحك قليلًا بحزن. ثمّ أكمل باندفاع. «بالطّبع لن أكون سعيدًا بخدمة أحد. لا أحد يسعد بخدمة البشر، أعني لو كان مخلوقا بشريّا مثلهم. ولكنّها مهامّ عملي، أنت تعرف ذلك. نعم أنت تعرف. الشّبّان مثلك يعرفون كلّ شيء في هذه الأيّام، حتّى أنّهم يعرفون أكثر من اللّازم في رأيي. لن أستبعد أبدًا أنّك تردّد في داخلك الآن كلمات قبيحة مثل -عجوز ثرثار- أو -متى يذهب ويدعني أرى شقّتي الجميلة-، آه! أكره أن أكذب، هي ليست شقّة جميلة بالطّبع أنت شاهدتها، هي متواضعة جدًا. ولكن عليّ أن أقول ذلك لأنّي صاحب العمارة. أرجوك أيّها الشّابّ أخبرني أنّك تفهم ما أقول. ولكن في الواقع ليس عليك أن تفهم أيّ كلمة أقولها، نحن من جيلين مختلفين كما تعلم. وكما أخبرتك أنتم أبناء هذا الجيل، متعلّمون فوق الحاجة. في وقتنا، وأتحدّث عن خمسين سنة مضت، كان الرّجل يحتاج جسده أكثر من عقله،

ولكن، حين ما تقدّمنا في العمر، سبَقنا الزّمن وأصبحت الشّركات والمؤسّسات تحتاج العقل أكثر من الجسد. هل تتخيّل هذا. أعتقد أنّها خدعة لعينة. أعني أن والدي لم يدخلني المدرسة لأنّه كان يعتقد أنّ العقل لا فائدة منه. آه ماذا أقول أنا. مهلًا عليّ أن أوضّح بعض الأمور هنا، والدي ليس السّبب في ما أنا عليه الآن. هل أوضحت من طريقة كلامي أنّي ألقي اللّوم عليه؟ حسنًا إن كنت قلت ذلك، أسحب كلامي. ليس هو السّبب. إنها تراكمات. أنت تعلم ماذا تعني كلمة تراكمات. قد تكون لا تعلم. فأنتم لا تعلمون كلّ شيء على كلّ حال. أحيانًا يكون الرّجل المُسنّ أكثر فهما منك. تقبّل ذلك. ولا تعتبرها إهانة. ولكن كيف ستكون إهانة؟ أنا هنا قبلك بأكثر من ستّين عامًا هل يجرحك هذا ؟! على كلّ حال دعني أقول ببساطة إنّها كانت متطلّبات العصر. دعني أعطيك مثالا محترما مثلك. أنت الآن حين تتزوّج وترزق بطفل فإنّك بالطّبع ستدخله مدرسة محترمة حتّى يتعلّم تعليما سليما. حينها قد يصبح سياسيّا مصلحا، مع أنّي أشك في ذلك. أو رجل قانون عادل، وأشكّ في ذلك أيضًا. ولكن حين ما تندلع حرب عالميّة جديدة، حينها ستكون قد أخطأت في حقّ ابنك. وستعتقد أنّه كان يجب عليك أن تجعله يتعلّم كيف يستخدم جسده بدل عقله، حين ما يُستدعى إلى الحرب، وإلّا سيموت مثل (السّلام عليكم) كما يقولون.

ثمّ توقّف عن الحديث لوهلة، فالتقطت أنفاسي بدلًا منه. نظر إلى الأرض بحسرة ولاحظت أنّه يودّ إضافة شيء مّا. ولكنّه قال بنبرة تائب أمام معبد مُهيب: «إذا احتجت أيّ شيء تجدني في الطّابق العلويّ. ليلة سعيدة أيّها الشّابّ».

شاهدته يصعد الدّرج المظلم ثمّ سمعت الباب يُغلق خلفه.. نظرت إلى شقّتي، تأمّلت أثاثها الرّثّ. ومن خلال الممرّ استطعت أن أرى المواسير الّتي يملؤها الصّدأ، تخترق الشّقّة. فقلتُ في نفسي (يا للشّاعريّة!).

***

محاولة طيران

ينام ليلًا برفقة أفكار مجنونة، ويستيقظ صباحًا برفقة أفكار مجنونة أخرى. أفكار اللّيل تبدو مختلفة بعض الشّيء عن أفكار الصّباح، فهي تعتنق مذهبا متحوّلا. أمّا أفكار الصّباح فكلّ ما يشغلها هو المكان.

في الصّباح، كلّ الأماكن لا تبدو شبيهة به، يريد أن يمارس مهنة أخرى، وأن يقود سيّارة أخرى، وأن يسترخي أخيرًا في حوض ماء دافئ، لا أن يجلس على سيراميك الحمّام الباردة تحت «الدّش». أمّا في المساء، حين يضع رأسه على تلك الوسادة الملعونة يشعر أنّ الوجود كلّهُ لا يشبهه.

ظنّ في بادئ الأمر أنّ المشكلة في وسادته فهي تشبه ثقبا مربّع الشّكل لعالمٍ آخر يغوص فيه كلّما وضع رأسهُ عليها. قبل أن يكتشف أنّ كلّ وِسادات العالم كذلك، وبعد أن قام بتجربة عدد لا بأس به منها، «يا للمصيبة»، صرخ في داخله وهو مستلقٍ في سرير معروض للبيع.

ذات ليلة، قبل أن ينام، كان يستمع إلى موسيقى جميلة، ففكّر في لحظة نشوة زائلة، كتلك الّتي تحمل فيها المرأة عادة، إنّ الحياة قد تبدو جميلة حين يقوم المرء بتعلّم أشياء جديدة. ثمّ قرّر بناءً على ذلك أن يصعد إلى السّطح. «سأحاول تعلّم الطيران ليس إلّا»، قال بصوت عالٍ كأنّهُ يقنع طفلا ساذجا لا يزال يسكن جسده.

***

٦٣٤١هـ

كنت أعمل في الوحدة الخامسة الّتي تقع في الطّابق الثّالث وبالتّحديد مقرّ قيادة شؤون الأفراد. نهتمّ بنقل الأفراد والتّأكّد من مباشرتهم للعمل في جميع القطاعات العسكريّة التّابعة للوزارة وكذلك رفع مطالبهم وحقوقهم الماليّة لإدارة الشّؤون الماليّة. لم يكن هناك غيري والملازم أوّل آدم، حين أتى ملفّ الشّهيد عبدالرّحمن -يرحمه الله- لنرفع قيمة مستحقّاته الماليّة، إلى الشّؤون الماليّة.

كان هناك خطأ في التّاريخ الّذي توفّي فيه. ليس خطأ في الزّمن ولكنّه خطأ في الشّكل الهندسيّ للأرقام. ليكون وفقًا للرّقم توفّي في عام ٦٣٤١هـ. ضحكنا في بادئ الأمر وقمت بتعديل الرّقم ليأخذ شكله الصّحيح ١٤٣٦هـ ثمّ قمت برفع طلب صرف مستحقّاته إلى إدارة الشّؤون الماليّة كالمعتاد، ليستلمها ذووه.

وبعد وقت العمل، عدت إلى شقّتي الصّغيرة وفكرة واحدة تسيطر تمامًا على عقلي، كيف سيكون حال البشريّة في سنة ٦٣٤١هـ.

ماذا سيحدث بعد ستّة آلاف سنة تقريبًا. هل ستبقى الأرض في مكانها، وسيبقى الوجود كما هو. حينها تذكّرت مقولة كانت تسيطر عليّ سابقا. «ما بين ساعات الشّكّ المريرة، ولحظات اليقين الدّافئة، تدور عقارب السّاعة سارقةً معها كلّ شيءٍ أحببناه على هذه الأرض».

لوهلة، شعرت أنّ كلّ شيء حولي، كلّ شيء أحببته، أصبح فجأة بلا أهمّيّة، وذلك لمعرفتي أنّه بحلول عام ٦٣٤١هـ سيختفي ويذبل.

رحت أنظر حولي. ولا أقصد تلك المساحة الصّغيرة في غرفتي، فعينيّ كانت ممتدّة عبر الكون كلّهُ. أفكّر في من أُحبّ، أمّي، أبي، أصدقائي... والقائمة تطول. وأفكّر بقلق، سيموتون. رافقتني تلك النّظرة التّشاؤميّة لسنوات طويلة، فلم أحيا بشكل طبيعيّ مثل الملازم أوّل آدم، ولم أمت شهيدًا مثل عبدالرّحمن.

الفصل الثاني
نوافذ لا يطلُّ منها أحد

ذلك الطّفل، كنعان

(نوفيلا)

مهلًا سيّدة شريفة!

عاش كنعان وحيدًا برفقة والدته الّتي تخاف أن تقترب منه لسبب تجهله. وذلك الأمر لم يزعجه على أيّة حال. لديه حياة كاملة في غرفته الصّغيرة، حيث يقضي جُلّ وقته. الأسبوع الماضي تعلّم كيف يغلق إضاءة الغرفة دون أن يكلّف نفسه عناء النّهوض، كلّ ما عليه فعله هو أن يفكّر في الأمر، فيحدث. وذلك تطوّر ملحوظ في قدراته الخارقة الّتي يُقدّسها ويشعر أنّها تميّزه عن الجميع.

استُدعِيت والدته صباح اليوم من قِبل مدير المدرسة، لم تكن تنوي الذّهاب، مستخدمة ذات الأعذار الوهميّة في كلّ مرّة. غير أنّ مدير المدرسة أخبرها أنه قد يضطرّ لفصل كنعان من المدرسة بسبب أفعاله المريبة.

داخل مكتب المدير وجدت شريفة ابنها كنعان يقف أمامها، موليًا وجهه نحو الحائط. وكانت تلك المرّة الأولى الّتي تراه عاجزًا ومطيعًا بهذا الشّكل. سألت بقلق عمّا فعله هذه المرّة. فأجاب المدير الّذي لم يكن قادرا على إخفاء خجله من وجود امرأة في مكتبه حيث لم يعتد هذا المنظر، حتّى في أجمل أحلامه.

«ابنك يا سيدة شريفة، قام بضرب أحد زملائه في الصّفّ حتّى أفقده وعيه، وتمّ نقله إلى المستشفى».

توتّرت شريفة ونظرت إلى ظهر طفلها النّحيل حيث يبدو جليًا أنّه لا يستطيع أن يضرب دجاجة عمياء «مستحيل أن يفعل كنعان ذلك، لعلّ الطّفل وقع على طاولة أو كرسيّ».

تنهّد المدير بعدم صبر وقال بهدوء مصطنع: «هذا الطّالب الثّاني الّذي يفقد وعيه نتيجة الاشتباك مع كنعان، ناهيك عن التّصرّفات الغريبة الّتي يقوم بها، حاولت مرارًا التّواصل معك ولكن بلا فائدة».

تنظر شريفة إلى ابنها الهزيل الّذي يقف أمامها وتشعر أنّها تراه يتسلّق الجدار،

فتتعوّذ من الشّيطان وتعيد نظرها إلى المدير الّذي يكمل حديثه بخجل وهو ينظر إلى عينيها بين حين وآخر.

«بصفتي مدير المدرسة والمرشد الطّلّابيّ المؤقّت أرى أن تصطحبي ابنك لعرضه على أخصّائيّ اجتماعيّ، أو نفسيّ، لا أعلم ما هي علّتهُ في الواقع. ولكنّ لجوء الطّفل إلى العنف المفرط خصوصا في هذه السّنّ المبكّرة ليس بالأمر الاعتياديّ».

«كنعان طفلٌ يتيم، والده متوفّى ولا أهل له سواي، فأرجو ألّا تُحمّلني مشقّة لا أقدر عليها. ولكنّي أعدك ألّا تبدر منه هذه التّصرفات مرّة أخرى».

ينظر المدير إلى كنعان بحقد لا يقدر على إخفائه «في الواقع فإنّ تصرفاته هذه تبدو غريبة ومحيّرة».

يصمت لوهلة كي يضيف عمقًا لحديثه ويكمل «فهو طالب متفوّق، بل الأفضل في صفّه، ولكن تذكّري يا سيّدتي الفاضلة أنّ التّفوّق لن يمنعني من فصله إذا ما بدرت منه هذه الأفعال مرّة أخرى».

لا تُجيب شريفة. فليس هناك ما يمكن قوله حين يتمّ تهديدك وأنت في موقف ضعف. ليردف المدير بتعال «احلقي شعره، لا أريد أن أراه بهذا المنظر غدًا».

تنهض شريفة من كرسيّها وتمسك بيد طفلها، خارجة من المكتب.

ليستوقفهما المدير ويقول بصوت عال في عقله غير مسموع في المكتب. «مهلا سيّدة شريفة، بما أن زوجك متوفّى هل تقبلين الزّواج بي؟».

ما بال الآباء يموتون؟

في طريقهم إلى المنزل، تستقلّ شريفة سيّارة أجرة رغم أنّ المدرسة لا تبعد سوى مسافة قصيرة عن منزلها، ولكنّها لا تستطيع المشي حين يستوطن عقلها أمر مزعج. فور جلوسه على مقعد السّيارة المهترئ يصرخ كنعان بغضب «لماذا تخبرين المدير أنّ والدي متوفّى؟».

- هل والدك هو من كان يجلس أمام مدير المدرسة يستمع إلى أفعالك المُشينة؟

يغضب منها دون أن يردّ، ويميل برأسه ناحية نافذة السّيارة. يتأمّل الشّارع الّذي لا يعرفه. تنظر إليه شريفة وتقول محاولة مراضاته:

- أخبرته كي لا يعاملك بقسوة.

- جميع الأطفال لديهم آباء يدافعون عنهم، ولا أحد يتحدّث عن ذلك. ولكن حين أدافع عن نفسي يعتقدون أنّني مريض نفسيّ!

تعلم شريفة أنّ تلك ليست أفكار طفلها، ولكنّها مضطرّة للإجابة عليها. في أوقات كثيرة تشعر أنّها تخاطب رجلا آخر من خلال ابنها، رجلا بالغا عاقلا.. قالت بعد صمت: «لا تخاطب الأطفال ولن يضربك أحد، عليك أن تركّز في دراستك فقط».

«يا لك من غبيّة، ألم تسمعي المدير؟ أنا من يضرب الطّلّاب ليس هم من يفعل ذلك».

ثمّ أردف وهو يقلّد صوت والدته: «عليك أن تركّز في دراستك .. أنا الأفضل في الصّف، أنا الأسطورة كنعان. إذا ركّزت أكثر في دراستي قد أصبح مدرّسا بدلًا من أولئك الحمقى».

تصمت شريفة ولا تردّ على طفلها، ينظر إليهما سائق سيّارة الأجرة في المرآة

العاكسة فيُخيّل إليه أنّه يرى رجلا في الثلاثين من عمره يجلس بجانب زوجته يتبادلون أحاديث رومانسيّة لا يودّ سماعها.

من يحلق شعر الحلّاق؟

في المساء يجلس كنعان فوق خشبة بيضاء على كرسيّ الحلّاق، يسألهُ بفضول «كم رأسا تحلق في اليوم؟».

ينظر إليه الحلّاق باستنكار، ثمّ يضيف مبتسمًا. «أحلق رؤوسا كثيرة لا أحرص على عدّها».

تأمّل كنعان المكان بهدوء ثمّ وجّه نظره إلى زاوية محدّدة من المحلّ، قبل أن يقوم الحلّاق السّمين بتعديل رأسه ليكمل عمله.

«ليلة البارحة حلَقت ستة رؤوس وثلاثة وجوه».

يتوقّف الحلّاق عمّا كان يفعله، يفكّر بهدوء كأنّه يحاول تذكّر غداء اليوم. ثمّ يجيب كنعان بعدم اهتمام: «تخمين صائب، أحسنت» ويكمل حلاقة شعر كنعان الكثيف.

في المساء يتجوّل كنعان في الحيّ لأوّل مرّة، يتأمّل البيوت والمُكيّفات الصّحراويّة الّتي ينساب منها الماء مكوّنًا نهرا متواضعا يمتدّ مسافة في الشّارع، كفيلة بتشويه المنظر تمامًا.

كلّ يوم بعد صلاة العصر، يلعب الأطفال كرة القدم في هذا الشّارع الضّيّق، ولكنّ الآن السّاعة تجاوزت السّادسة مساءً ولا أحد في الشّارع سوى طفلٍ يبلغ الحادية عشر من عمره بشعرٍ محلوق تفوح منهُ رائحة البودرة البيضاء.

وصل كنعان المنزل، دخل غرفته فوزًا كما هي عادته. بنظرة واحدة أضاء الأنوار في الغرفة.. ثمّ اضطجع على سريره وراح يفكّر في كلّ الأشياء الّتي يودّ أن يفعلها في المستقبل. أشياء كثيرة مجنونة، لا تحدث في الواقع.

السطر الأخير

وبعد ساعات قليلة رنّ جرس الباب، وذلك أمر غير عاديّ، ولكنّهُ أحد الأمور الّتي تقوم بها والدته دون أن يتدخّل، فبقي مضطجعًا على سريره دون أن يُحرّك ساكنًا.

لم تفتح والدته الباب، فشكّل ذلك الصّوت المزعج تشتيتا صارخا لأفكاره المستقبليّة. تنازل أخيرًا وغادر مملكته ليرى من على الباب.

فتح الباب الخشبيّ، وإذا به يجد الحلّاق يقف أمامه بقلق وخوف «أين والدتك!؟».

شعر كنعان أنّ الحلّاق المغفّل تجاوز حدوده وسأل بغضب وانفعال طفوليّ «ماذا تريد منها؟».

أطلّ الحلّاق برأسه داخل المنزل متجاهلًا تلك العتبة الصّغيرة الّتي تقف أمامه، ليقوم كنعان برفع نفسه إلى الأعلى، كي يمنعه من رؤية المنزل: «أخبرني ماذا تريد!؟».

«كيف عرفت عدد الّذين حلقت لهم في الأمس؟».

تأمّل كنعان وجهه، حاول الرّدّ ولكن الكلمات لم تخرج من فمه. ليكمل الحلّاق «هل أنت ساحر؟».

أجاب كنعان ببرود «نعم، أنا ساحر».

ثم قام بإغلاق باب المنزل بقوّة مفرطة، لا يملكها طفلٌ في سِنّه. عاد إلى غرفته محاولًا تجاهل وجود حلّاق عريض الجسد واقفا على باب المنزل. وبعد وقت قصير فتحت والدته باب الغرفة، وقد بدت خائفة وغاضبة في آن واحد. جلست أمام طفلها الّذي لا تعرفه، وقالت بهدوء مُخيف «كنعان حبيبي، كيف عرفت عدد الأشخاص الّذين حلق لهم الحلّاق؟».

تنهّد كنعان بغضب وقال «هو من أخبرني؟».

سألت أمّه بخوف «من هو؟».

«الحلّاق!».

سألت أمّه ثانية بذات الخوف.. «كنعان حبيبي، هل ترى بشرا غرباء!؟».

التفت كنعان حوله بسخرية ثمّ أجاب وهو ينظر في عينيها: «نعم».

شخَصت شريفة بنظرها نحو طفلها وكأنّها تودّ رؤية شيء آخر، ثمّ حضنته بقوّة كما لو أنّ هناك أحد يسحبهُ منها، لم تكن تودّ تركه ولو للحظة واحدة، حاول دفعها بخوف ولكنّها تشبّثت به وهي تصرخ «لن أدعهم يأخذونك، لن أدعهم يأخذونك» حتّى نام كنعان في حضنها بعدما فقد الأمل في دفعها.

تأملث ملامحه وهو نائم، فبدأ لها كشبح أليف، كأسد بلا أنياب، وكرجل بلا مروءة. لم يغمض لها جفن طوال تلك اللّيلة. كانت تعلم أنّ هذا الأمر سيحدث لا محالة، فقرّرت ألّا تعيشه مرّة أخرى. تشعر أنّها تملك الحقّ في قتله، قبل أن يرهقها طغيانه وكفره. ولكنّها ما إن رأت رأسه المحلوق، ووجهه الجميل، الّذي يشبهها كثيرًا، حتّى شعرت ببراءته، «لا ذنب لهُ في ما يرى» راحت تردّد في قلبها.

حينها قرّرت أن تكتب سطرها الأخير في كتابها الّذي ستحملهُ يوم تُبعث، وفي الواقع، في تلك اللّحظة بالذّات، لم يكن يهمّها بأيّ يدٍ ستحمله.

عظم الله أجرك، ورفع شأنك

في العزاء لاحظ الجميع أنّ كنعان لا يبدو حزينا، بالنّسبة إلى معيارهم في تقييمهم. كان يتلّفت حوله باستمرار مصدومًا بعدد الرّجال الموجودين في المجلس الّذي لم تُفتح أبوابه منذ وفاة والده.

بجانب كنعان يجلس عمّهُ عبدالله، وهو شقيق والده الأكبر وبجانبه عمّهُ الآخر شدّاد، الشّقيق الأصغر لوالده. وهناك عشرات الرّجال الغرباء يدخلون المنزل وما يلبثون دقائق حتّى يخرجون مردّدين عبارات لا يعرفها، وينظرون إليه بشفقة لا يفهمها.

طوال عمره كان يعتقد أنّه يتيم، وحيد، مقطوعٌ من شجرة لم يمسسها بشر، في وادٍ فسيح تُرابه أسود في النّهار وأبيض في اللّيل.

ومع جموع المُعزّين دخل إلى المجلس رجل مُقعد، أسود البشرة أبيض الشّعر. أحسّ كنعان بجسده يرتعش لرؤيته. شعر أنّ ذلك الرّجل يخبّئ أمرًا عظيما. وأحسّ أنّه مضطرّ لمعرفة هذا الأمر.

كان الرّجل المقعد ينظر إلى الأمام بتركيز، ليس إلى رجل أو موضعٍ مُعيّن في الغرفة، ينظر بعينيه إلى الأمام ولا يحوّل بصره عن ذلك الاتّجاه. كأنّه يسير بمساعدة شيء آخر غير عينيه الحمراوين.

وما هي إلّا ثوان حتّى وصل الرّجل بجانبه يُعزّي عمّهُ شدّاد قبل أن يتّجه نحو عمّه عبد الله، وصولًا إليه. يصافحه بيدٍ حارّة كالنّار ويقول بصوت لا يناسبهُ:

«عظّم الله أجرك ورفع شأنك».

لم يُجب كنعان كما فعل مع بقيّة المعزّين. انصرف الرّجل المُخيف، ويشهد الله أن كنعان رأى الكرسيّ يتحرّك ذاتيًا دون أن يلمس الرّجل العجلات. تلفّت حوله، «هل يرى أحدًا ما أراه؟» ولمّا أعاد بصره إلى الرّجل، كان قد اختفى. ولم يبق لهُ

أثر في المجلس.

بعد وقت قصير، وجد كنعان نفسه يجلس برفقة عميّه، وبعض الرّجال على صحن دائريّ فيه الكثير من الأرز وبعض اللّحم المُقطّع أمامه، وكلّما شرد كنعان مع خياله، لاحظ أن قطع اللّحم تتكاثر. فيظنّ آثمًا أنّ ذلك من فعل الجان المُقعد، الّذي يرتدي زيًا بشريًا.

غادر الرّجال تاركين حزنهم وشفقتهم في المجلس على أن يعودوا في الغد ليكملوا من حيث انتهوا كما يفعل قوم يأجوج ومأجوج كلّ يوم. ولم يبق في المنزل سوى كنعان وعميّه اللّذين لم يكن يعرفهما من قبل.

قال عمّه عبدالله والشّفقة تكتسي مُحياه: «ستنتقل للعيش في منزلي».

أجاب كنعان بغضب كأنّه يُجيب طفلا: «لماذا؟».

«هل تريد العيش بمفردك؟».

«نعم، فقد عشت بمفردي طوال حياتي، أنا لا أخاف».

يغضب عمّه عبدالله ولكن سرعان ما يُحوّل ذلك الغضب إلى ابتسامة زائفة ويقول:

«ستذهب معي وستلعب مع أبناء عمّك، كفاك من العيش بمفردك».

أجاب كنعان غاضبا:

«قُل هذا الحديث لطفلٍ في الحادية عشر من عمره، لا تقله لي».

تدخّل عمّه شدّاد الّذي يبدو أقلّ اهتمامًا بالموضوع:

«كيف ستأكل؟ ومن يغسل لك ملابسك؟».

يجيب كنعان وهو ينظر إليه بتحدّ «سآكل بيديّ، وأغسل ملابسي في الغسّالة».

ينظر إليه عمّاه بغضب، ويخرجان من المنزل، يقفان أمام الباب ظانّين أنّه سيخاف ويهرع إليهما. ولكنّهما في رأي كنعان سيبقيان في الخارج إلى الأبد.

ما الذي يعرفهُ المرء يقينًا

الكثير من الأشياء في حياته تغيّرت إلى الأسوأ، بعدما أمر القاضي أن ينتقل للعيش في منزل عمّه عبدالله ولو كان بالإكراه، فهو في سنّ خطرة.

عمّه عبدالله عسكريّ برتبة رقيب أوّل في إحدى قطاعات القوّات المسلّحة، كما يعمل أيضًا مؤذّنا في مسجد الحيّ. ولذلك فإنّ على كنعان الذّهاب مع عمّه وأبنائه الثّلاثة، كلّ يوم قبل الصّلاة بخمس دقائق والعودة بعدها بعشر دقائق.

يشعر كنعان أنّ هذه الحياة لا تشبههُ، فلا تناسبه الحياة المستقيمة. هناك أرواحٌ خُلقت مائلة، معطوبة، وغير مستقرّة. ظلّ كنعان يحاول مُجاراة الموج كي لا يبتلعهُ، يحاول جاهدًا التّأقلم ولكنّهُ لم يستطع.

تمّ تكريمه في نهاية السّنة الدّراسيّة، حيث حاز على التّرتيب الأوّل في الفصل، متفوّقًا على أبناء عمّه، الّذين كانوا يبذلون جهدًا مضاعفًا في الدّراسة، بينما هو لم يبذل أيّ جهد يذكر. فقرّر عمّه أن يُقيم له حفلا مملّا وكئيبا في المنزل بهذه المناسبة، مصحوبا بعشاء لا يفضّلهُ كنعان. فعلى الرّغم من أنّ الحفل مقام على شرفه، لم يبدُ رأيُهُ مهمّا فيه.. تمامًا كما هي الحياة الّتي يعيشها الآن.

عاد كنعان إلى غرفته بعد انتهاء الحفل الكارثيّ، فلاحظ وجود شابّ عالق في النّافذة، كأنّه لصّ يحاول الدّخول إلى المنزل، ولكنّهُ نسيَ وجود حديد على النّافذة. هلع كنعان لرؤيته ولكنّهُ لم يصرخ، فهو ليس مجرّد طفلٍ في الحادية عشر من عمره.

لم يكن الرّجل العالق عالقا كما بدا لكنعان، ولم يتوتّر لرؤية كنعان بل على العكس تماما، نظر إليه بثقة وقال: «أنت كنعان؟».

فأجابهُ بخوف: «نعم، من أنت؟».

قبل أن يُجيبه الرّجل سأله كنعان سؤالا آخر يبدو أنّه سقط من لِسانه لهول

تزاحم الأسئلة في رأسه. «كيف تسلّقت الجدار؟».

«هل تريد معرفة الأشياء».

قال كنعان بغضب: «أخبرني أولًا ماذا تفعل في نافذتي؟».

أجاب الرّجل بعدم صبر: «آه كم أكره التّحدث إلى البشر!».

تغيّرت ملامح كنعان، أصبح يشعر أنّه خرج أخيرًا من الموج، أصبح يرى البحر شاسعا أمامه، وأشعّة الشّمس تخترق المياه من تحته: «هل أنت جنّي؟».

أجاب الرّجل بسخريّة: «هل الجنّ تستطيع أن تتحوّل بشرًا؟».

لم يُجب كنعان على سؤال الرّجل المتهكّم، فلا يُجيب عادة إلّا عمّا يعرفه يقينًا. ويكمل الرّجل بغضب «أنا غول يا أحمق. الغول يستطيع التّحوّل. الآن أخبرني هل ترغب في معرفة الأشياء؟».

«لماذا؟».

«المعرفة هي القوّة، حين تعرف كلّ شيء حولك، تصبح قادرًا على استخدام هذه المعرفة كنقطة قوّة لك، ونقطة ضعف بالنّسبة للآخرين».

يفكّر كنعان لبعض الوقت، فقد أصبح عقله في حالة عالية من النّشوة. نشوة لم يشعر بها منذ خيالاته مع مُدرّسته هيفاء في الرّوضة.

ينطق أخيرًا: «نعم، أرغب في معرفة الأشياء».

يتنهّد الغول، ويلتفت حوله. حينها يتسنّى لكنعان أن يرى ذيله، كان منظرا مهيبا، أن يرى رجلا له ذيل. قال الغول «جابر ابن عمّك، سيصاب بأذى في حال خرج من المنزل اليوم».

ثمّ اختفى الغول فجأة.

كلّ الأشياء الّتي نودّ فعلها ولا نستطيع

«أيّها المبجّل، اسمح له أن يرى فهو أعمى، واسمح له أن يسمع فهو أصمّ، واصفح عنه قولهُ فهو لا يفقه. أيّها المبجّل، من تربة الوادي دعني أتبارك، فعلى نهج والدي أسير. كُن ظِلّي حينما ترتفع الشّمس فوق رأسي وتتخلّى، وكُن لِباسي يوم ينظر النّاس إلى عوراتهم. أيّها المبجّل، أنا كنعان ابن جابر، الّذي قد سألك حمايتي فإنّك بالوعد تفي، وحقّق ما وعدت، إنّك بالوعد توفي».

ما إن خرج الغول من الغرفة، حتّى راح كنعان يردّد هذه الكلمات في نفسه، دون إرادة، ولكنّه لم يسمع ما قاله ولم يُدرك ما فعله للتّوّ.. ينام عمّهُ في وقت مبكّر من اللّيل، وكذلك زوجته. فقد اعتاد ذلك منذ سنوات طويلة بسبب عمله مؤذّنًا للمسجد، وهو لا يهتمّ كثيرًا بما يفعله أبناؤه بعد ذلك، الأهمّ أن يراهم بجانبه في المسجد لصلاة الفجر.

لم يتنازل كنعان من قبل للتّحدث مع أبناء عمّهِ الثّلاثة، فهم لا يملكون أيّ قوى خارقة، أو أشياء مثيرة للاهتمام تدفعه للتّعرف عليهم. والحقّ أنّه لا يعرف أيّهما جابر، ولكنّهُ خمّن أنّه الابن الأكبر فهو سميّ والده، كما هي العادات. وما إن وقف في الصالة، حتّى رأى جابر بهمّ بالخروج من المنزل. استوقفه، دون تخطيط لما سيقوله، فانتهى به المطاف يسأله: «أين ستذهب؟».

لم يُجبه جابر بل أكمل طريقة خارج المنزل، قبل أن يتبعهُ كنعان بخوف:

«لا تذهب!».

«هل أبي كلّفك بمراقبتي؟».

«لا!».

«هل تريد الذّهاب معي؟».

يُجيب كنعان مرّة أخرى بقلق «لا!».

«إذًا ماذا تريد أيّها الأحمق!؟».

يغلي الدّم في جسد كنعان، ويقول بغضب: «لا شيء، اذهب.. أتمنّى أن تموت».

يخرج جابر من المنزل، يركب سيّارة بيضاء تقف أمام باب البيت. يبقى كنعان وحيدًا في الصالة. كان المنزل مظلمًا وخاليًا، أعاد إلى كنعان بعضا من ذكرياته في منزل والدته وحياته القديمة، تلك الحياة المثيرة والمثاليّة. الهدوء يبعث في روحه الشّجن، يجعله يشعر بالحنين لأشياء لا يعرفها، وحياة لم يعشها بعد.

دخل غرفته الكئيبة، وضع رأسه على المخدّة، نظر إلى السّقف كأنّه يرى الجنّة أمامه. يفكّر مليًا في كلّ الأشياء الّتي يودّ فعلها في هذه اللّحظة ولا يستطيع.

كنعان، هل تراهم؟

استيقظ كنعان من نومه، وهو يشعر بشيء مّا، ولكنّه لا يعرف ما هو. وما إن جلس على سريره الخشبيّ، حتّى رأى عمّه عبدالله يقف أمامه، ينظر إليه بتركيز وغضب في آن واحد. شعر كنعان بالخوف لأوّل مرّة في حياته.

فصرخ بتصرّف طفوليّ لكي يُبعد الشّبهات عنه. «طلبت منه ألّا يذهب!» ولكنّه سرعان ما أدرك سخافة تصرّفه. آه! كم يكره تصرفاته الطّفوليّة الّتي تبدر منه دون وعي. كأنّهُ امرأة قاسية، تكره قلبها حين يلين.

ينظر إليه عمّه، كأنّه ينظر إلى رجل تحوّل بين ليلة وضحاها إلى حشرة.

توتّر كنعان، عدّل جلسته، حاول إبعاد شعره عن عينيه غير أنّه تذكّر أنّه حلَقه. اقترب منه عمّه، حينها تسنّى لكنعان أن يرى الشّعر يملأ وجهه، ورائحة العود تفوح منه، مِسواكه يطلّ من طرف جيب ثوبه العلويّ. لم يقترب أحد منه هكذا من قبل، حينها قرّر أن يُضيف قُرب البشر لقائمة مخاوفه.

قال عمّه بغضب: «ماذا قلت؟».

«لم أقل شيئا».

«لماذا أخبرته بألّا يذهب، وما أدراك بما سيحدث؟».

يفكّر كنعان كما لا يفعل طفلٌ في الحادية عشر من عمره «خرجت لدورة المياه ليلًا، ورأيت جابر يهمّ بالخروج من المنزل وطلبت منه ألّا يذهب لأنّ الوقت كان متأخّرا فقط، أنا لا أعرف شيئا».

لم يقتنع عمّهُ بهذه الكذبة، كما لم يقتنع كنعان نفسهُ بما قاله، حينها اقترب عمّهُ عبدالله أكثر، وقال بهدوء: «كنعان يا بُنيّ، هل ترى بشرا غرباء؟، هل يتحدّثون إليك؟».

يُجيب كنعان بخوف ولكن بحذر كأنّه يتّبع خطّة: «لا، لا أرى أحدا».

نظر إليه عمّه عبدالله، نظر إلى عينيه مباشرةً، كما فعلت شريفة من قبل. يودّ رؤية ذلك الشّيء ولكنّه لم يستطع. ثمّ خرج من الغرفة، وأغلق الباب خلفه. تاركًا كنعان على سريره، خائفًا، متشتّتًا.

بعد وقت من الهدوء والخوف، فكّر كنعان في إغلاق النّور، ولكنّه لم يستطع. فضرب السرير بقبضته الصّغيرة، ونهض.. ليقوم بتلك المهمّة السّخيفة بنفسه. ثمّ دثّر نفسه باللّحاف وهو يبكي لشدّة خوفه.

بعد وقت، نام كنعان وهو يبكي تحت اللّحاف. دخل عليه عمّهُ عبدالله وهو يحمل القرآن الكريم في يديه، وضع يده اليمنى على رأس كنعان، وبدأ يردّد آيات من كتاب الله ليخرج تلك العائلة الملعونة الّتي عذّبت أخاه لعقود من الزّمن من جسد ابنه الصّغير كنعان. غير أنّ لا شيء حدث سوى تأثّر كنعان الواضح بآيات الله، حيث لم يستمع يومًا للقرآن بهذا الحرص، والخوف.

وداعٌ طويل

قرّر عبدالله أن يسكن كنعان مع أخيه شدّاد وأمّه في الديرة، حيث رأى أنّه بذلك سيكون بعيدًا بعض الشّيء عن جماعة الجنّ الّتي يسيطرون عليه. ركب كنعان السّيارة قبل عمّه شدّاد الّذي بقيَ مع أخيه الأكبر يوصيه ويؤكّد على بعض الأمور الّتي تخصّ التّعامل مع كنعان والجنّ.

فجأة جلس الغول بجانب كنعان، خلف عجلة القيادة. صرخ كنعان غاضبًا «أين كنت ليلة البارحة أيّها الغول الأحمق، لماذا جعلتهم يعاملونني هكذا!؟».

«اسمع يا فتى، في عالمكم، الوقت سريع، سريع للغاية، فحتّى أفسّر لك كلّ شيء سأعود إلى الوادي وأنا بعمر المئة سنة. المُراد، عمّك الغبيّ يعتقد أنّك حين تذهب مع شدّاد إلى القرية، سنتركك وشأنك».

يفكر الغول لوهلة ثمّ يُردف «في الواقع تلك المنطقة تحكمها جماعة من الجنّ لا نعرفهم، ولكن لا بأس سنتوصّل لاتّفاق، لا تقلق. المهمّ حين تصل إلى هناك اِذبح دجاجة أو أيّ حيوان باسم زعلوج حتّى نأتيك، لا تنسى باسم زعلوج».

اِختفى الغول، ثمّ ركب عمّهُ شدّاد السّيّارة أخيرًا. يسكن شدّاد مع والدته الأرملة، في الدّيرة. حيث يعمل مُعلّما في المدرسة الابتدائيّة هناك. تزوّج ولكنّهُ طلّق زوجته بعد ثلاثة أشهر من زواجهما بسبب صراعها الدّائم مع أمّه. كلّ هذه المعلومات لم يكن يعرفها كنعان، ولكنّهُ بمجرد ركوب عمّه السّيارة أصبح يعرفها، مجرّد معلومة أصبحت حاضرة فجأة في ذهنه.

بعد وقت من القيادة، قالِ عمّهُ ليكسر الهدوء الّذي يصيب كنعان بالشجن : «متحمّس لرؤية الدّيرة؟».

ينظر كنعان من النّافذة ويقول: «لا».

يشعر عمّهُ بالإهانة ويقول بغضب: «لماذا!؟».

«لست متحمّسا فقط».

ثمّ أضاف وهو يتأمّل الجبال على الطّريق: «ولكنّها على كل حال، ستكون أفضل من منزل عمّي عبدالله».

ضحكَ عمّهُ شدّاد كما لم يضحك من قبل: «أنت فعلًا نسخة مصغّرة من والدك يرحمه الله».

تبعت ذلك القول لحظة صمت أطول من المعتاد ليسأل كنعان: «أليس من الظّلم، أن تولد ولا تلتقي بوالدك؟».

لا يُجيب عمّه ليردف كنعان بغضب: «ينجبك ثمّ يتركك لوحدك، تتعذّب في هذه الحياة».

يغضب عمّه من قوله: «لا تقل ذلك عن والدك، هو بالطّبع كان يرغب في رؤيتك وتربيتك، ولكنّها مشيئة الله يا بُنيّ».

يسأل كنعان بفضول ساخر: «كل شيءٍ في الحياة يحدث بمشيئة الله إذًا؟».

«ينظر إليه شدّاد بقلق ولكنّهُ يُجيب بحزم وثقة: «نعم!».

يتوقّف كنعان عن الأسئلة فيقرّر شدّاد أن ينهي الحوار عند هذه النّقطة. فقد أصبحوا أمام بوابة مليئة بالشّك، دخول عالمها، لا يجلب أيّ منفعة سوى الضّياع.

نصف دجاجة

بعد أربع ساعات في الطّريق، توقفا أخيرًا أمام مطعم صغير، تعتليه لوحة صفراء مكتوب فيها بثلاث لغات مختلفة (مطعم السّعادة).

قائمة الطّلبات تبدو محدودة للغاية. نظر شدّاد إلى كنعان الأقرع الّذي لا يتجاوز طولهُ مرفق يده، وسأله بفضول: «ماذا تريد أن تأكل؟».

«لا شيء».

ابتسم شدّاد باستنكار وهو ينظر إلى العامل الباكستانيّ الضّخم، الّذي يقف خلف الطّاولة الرّخاميّة. ثمّ قال: «لا شيء؟ عمّك أخبرني أنّك لم تتناول غداءك، فكيف بربّك ألّا تشعر بالجوع الآن؟».

«لا أشعر بالجوع، ذلك كلّ شيء».

نظر إليه شدّاد لوهلة عسى أن يُغيّر رأيه، ولكنّه سرعان ما فقد الأمل وطلب «نصف حبّة شواية مع الأرزّ وقد شدّد على أن يكون الأرز أحمر اللّون.

جلس ممدّدًا قدميه على الزّوليّة الحمراء في المطعم بدا متعبًا من الطّريق ولكنّه لا يشتكي لكنعان، بل ساقاه من تفعل، قال كأنّه لا يتعمّد التّحقيق:

«أخبرني يا كنعان، كيف عرفت بما جرى لجابر».

قال كنعان باستنكار مفتعل «أبي؟».

«ابن عمّك، جابر.. كيف عرفت أنّه سيصاب بأذى».

«لم أكن أعلم. كلّ ما حدث أنّني كنت قلقًا عليه ليس إلّا».

ضحك شدّاد بسخرية، بينما العامل الباكستانيّ يضع السّفرة على الأرض، ويُثبّتها ببعض صحون السّلطة الدّائريّة، ومشروب شدّاد الغازيّ.

ثمّ أردف وهو يسعل: «كنعان، يوم وفاة والدتك، لم تدمع عيناك، الآن أصبحت قلقًا بشأن جابر؟».

لم يُجب كنعان. أشاح ببصره عن عمّه المستلقي كفقمة. بدأ يهدّده:

«هل الدّيرة هي المكان الّذي ترغب بقضاء عطلة الصّيف فيه؟».

«ولو أخبرتك بالحقيقة، هل سأقضي العطلة في منزل عمّي عبدالله؟».

يُجيب عمّه شداد بحماس: «بالطّبع!».

«إذًا سأسعد برؤية جدّتي».

يُحضر العامل الطّعام: أرزّ أحمر، ونصف دجاجة مشويّة. ينظر كنعان إلى الصّحن باشمئزاز ويفكّر بقلق «ماذا حلّ بالنّصف الآخر من تلك الدّجاجة؟».

حضن، يقي من مصيرٍ محتوم

في الدّيرة، يحظى الطّفل المعجزة (كنعان) بشهرة كبيرة. حيث يُشاع بين النّاس أنّ جابر المخاوي أنجبهُ من علاقة غرامية مع جنيّة تُدعى فيراج. فيعتقد الجميع أنّ لكنعان علاقة استثنائيّة بالجنّ والعالم الآخر. وذلك ما يجعله مُباركًا وملعونًا في آن واحد.

تقوم الجدّة سالمة باحتضان حفيدها كنعان، كأنّها تودّ أن تُدخلهُ جوفها، وتحميه من مصيرهِ المحتوم. في الوقت الّذي يقضي فيه شدّاد وقتًا صعبا في الحمّام، فبعد ما تناول تلك الوجبة، أصبح يتردّد طوال طريق السّفر على دورات المياه، مصابا بتسمّم غذائيّ خطير.

تأخذ سالمة حفيدها في جولة مختصرة في المنزل. يحاول كنعان جاهدًا معرفة كلّ شيء عن تلك العجوز ولكنّه لا يستطيع. كلّ ما يعرفهُ عنها الآن أنّها عجوز طويلة القامة ترتدي لِباسًا أسود يتزيّن بنقشات ذهبيّة فاخرة. تستطيع أن تعرف من خلال يدها الحياة الصّعبة الّتي عاشتها، رغم أنّ أصابعها مليئة بالخواتم، وتزيّن أطرافها الحنّاء.

أثناء الجولة، تصرخ الجدّة سالمة وهي تخاطب ابنها شدّاد: «الثّوم واللّبن في المطبخ، اشرب منه وستتعافى». ثمّ تأمر كنعان أن يدخل غرفته ريثما تحضر لهُ لقمة يأكلها.

حينها يكتشف كنعان أنّ تلك الغرفة الّتي لطالما كرهها في منزل عمّه عبدالله أفضل بكثير من هذه الغرفة. يقف بين جدرانها المُجعّدة، كوجه جدّته. يرفع رأسه إلى الأعلى، ينظر إلى المروحة الكهربائيّة الّتي تدور بوهن، في كلّ مرّة يشعر أنّهُ من المستحيل أن تكمل دورةً كاملة بهذا القوام الهزيل، وستسقط على رأسه لا محالة، ولكنّها وبلا رغبة مُلحّة، تُكمل دورة أخرى.

حين يختلي الإنسان بنفسه، يفكّر بطريقة مختلفة، صادقة، كأنّ الحقيقة تكمن

في داخله بينما هو يبحث عنها عبثًا في الأرجاء. حينها يتذكّر كنعان كلام الغول ويفكّر بخوف، «هل سأقتل دجاجة لذلك المدعوّ زعلوج؟».

ليس لكنعان تواصل مباشر مع الله، لا يُصلّي إلّا رياءً من أجل عمّه. ولا يدعو الله في سِرّه. ولكنّهُ يشعر بعلاقة استثنائيّة تجمعه بالخالق، يعلم أنّه متخبّط، يرتطم بالجدران من كلّ جانب، ولكنّهُ يشعر في داخله أنّه يومًا مّا سيجد الطّريق.

خرج كنعان من الغرفة بعد وقت قصير. لم يقوَ على مواجهة عقله. دخل المطبخ ليجد عمّهُ شدّاد يتناول مشروب لبن بالثّوم. تقول جدّته سالمة بحنان، فور رؤيتها لكنعان يقف أمام باب المطبخ بخجل: «جابر حبيبي».

ينظر إليها شدّاد باستنكار، ثمّ يرمق كنعان بنظرة متفحّصة، كأنّهُ يراه لأوّل مرّة: «لا أظنّه يشبه أباه».

«بالطّبع لا يشبه والدهُ، فهو أجمل بكثير».

ينظر إليهما كنعان بقلق. لم يعش في حياته موقفا مشابهًا لِما يتعرّض له الآن. يتساءل في داخله: «هل هذا هو التّحرّش؟» تقوم جدّته بوضع وعاء حديديّ أبيض على الطّاولة وتُشير إلى كنعان بيديها «تعال، تناول غداءك».

دجاجة، من نوع آخر

في المساء، قرّر كنعان أن يخرج ليتجوّل في دهاليز الدّيرة، حيث منارات الكهرباء العالية، الّتي تنام عليها الطّيور. لا أحد في القرية سواه. في الأفق يسمع صوت نباح كِلاب يأتي من الجبل، عدا ذلك، لا يسمع سوى صوت نبضات قلبه المتسارعة. أضاع طريق العودة إلى منزل جدّته، منذ المنحدر الثّاني الّذي سلكه، وذلك الأمر لم يخفه، بل جعله يشعر بالإثارة الّتي افتقدها مؤخّرًا.

وفي ممرّات القرية الصّغيرة، رأى دجاجة، نظر إليها بخوف، قبل أن يلحق بها دون تخطيط مسبق كما هي عادته. ومع كلّ خطوة مسرعة يخطوها باتّجاهها كانت تبتعد عنه. حتّى توقّفت فجأة بالقرب من صخرة كبيرة. وقف كنعان أمامها وهو يلتقط أنفاسه، نظر إليها وهي تحرّك رأسها بسرعة كبيرة كأنّها ترقص على أصوات نباح الكلاب.

قالت الدّجاجة بعد وهلة: «هل تريد قتلي؟».

شعر كنعان أنّ قلبه سقط، ليجتمع مع باقي أعضاء جسده في بطنه الّذي بات يؤلمه. لتكمل الدّجاجة: «لا أُخفيك أنّي ظننتك أكبر ممّا تبدو، لحرص جماعة زعلوج عليك».

سارت الدّجاجة بضع خطوات إلى الأمام، ليعود كنعان مثلها إلى الخلف. «لو أنّك تعلم عدد الجنّ الّذين ماتوا بسببك لقتلتني الآن ودون تردّد، ولكنّك لن تفعل ذلك. هل تعلم لماذا؟».

قال كنعان أخيرًا بصوت خائف: «لماذا».

ضحكت الدّجاجة كما يضحك البشر وقالت: «لأنّني لست دجاجة»

ثمّ اختفت الدّجاجة من أمام كنعان. نظر بخوف إلى الصّخرة بجانبه، وإلى الطّيور فوق عمود الإنارة، واستمع بحرص إلى صوت نباح الكلاب، ثمّ شعر برغبة

حقيقيّة في العودة إلى المنزل.

البيوت في الدّيرة متشابهة في البناء غير أنّ لها ألوانا مختلفة، كأنّ أحدهم يتعمّد الاختلاف عن الآخر. كان كلّ طريقٍ يسلكه ينتهي به أمام صخرة أو وادٍ فسيح لا بيوت فيه ولا مأوى.

صرخ بصوت عال: «ساعدوني». وتزامن مع ذلك ارتفاع صوت نباح الكلاب في الجبل، فقرّر أن يسكت، فلا مانع لديه بأن يتوه لبعض الوقت، ولكن لا حاجة لإشراك الكلاب في ذلك.

وبعد مروره من أمام عشرات المنازل دون أن يطرق أيّ باب منها، وجد أمام عمارة خضراء اللّون عجوزا مُسنّا يقف هادئا وهو يحمل عصا في يده.

قال المُسنّ بتهكّم «ماذا تفعل هنا؟».

«أبحث عن منزل جدّتي»، أجابه كنعان.

تقدّم الرّجل المُسنّ، نظر إلى وجه كنعان بتفحّص قبل أن يقول بقلق: «أنت ولد جابر؟».

أجاب كنعان بفرح: «نعم، هل تعرف طريق بيت جدّتي سالمة؟».

نظر إليه الرّجل بتقزّز وسأله: «ما اسمك؟».

«اسمي كنعان».

أغمض الرّجل المُسنّ عينيه وهو يتحسّر كأنّه أضاع فرصة عُمره. وقال بغضب: «سمّاك على ما يتّبع من الجنّ، يا لهُ من رجلٍ فاسق».

لم يردّ كنعان على ما قاله المُسنّ، وسأله مرّة أخرى بعد لحظة صمت: «هل تعرف طريق بيت جدتي؟».

قال الرّجل المُسنّ بغضب جامح: «اسأل الجنّ الّذين يعبدهم والدك».

ثمّ استدار وهو يرفع عصاه عن الأرض، خشية أن تتحوّل حيّه.

أخرجوا كنعان من أرضنا

استيقظ كنعان في اليوم التّالي وهو نائم على سريره في منزل جدّته، لا يعلم كيف انتهى به المطاف هنا، ولكنّه سعيد بذلك، كالرّجل الّذي يدخل غيبوبة ويصحو حينما تنقرض البشريّة. سمع أصوات عالية في الخارج، صمت بحرص ليستمع إلى ما يُقال، وإذا بهِ يميّز صوت الرّجل المُسنّ الّذي كان يقول بنبرة متهجّمة: «أتيتم بهِ إلى هنا لكي تبعدوا عنه الجنّ، ولكنّكم بذلك تجلبون الجنّ إلينا».

يخاف كنعان، ينظر إلى المروحة فوق رأسه، ثمّ ينهض من فوق سريره المهترئ.

في الخارج، وجد جمعًا من أهالي الدّيرة الغاضبين، الّذين وبشكل مثير للرّيبة، يشبهون بعضهم البعض، عدا ألوان لِحاهم. فبعضهم له لحية بيضاء والآخر سوداء أمّا الأكثر حدّة في آرائهم فيملكون لحية صفراء. وحينما رأوه سكتوا جميعًا، ليصرخ الرّجل المُسنّ بغضب «أسألكم بالله، ألا يشبهُ الجنّ الصّغار؟».

قال عمّهُ شدّاد بغضب: «أبو عبد الوهاب، أقصر الشّرّ، واذهب من هنا».

قال أبو عبد الوهاب بسخريّة: «وهل تعرفون غير الشّرّ يا آل الجنّ؟».

يغضب شدّاد رغم محاولة كبته لمشاعره، ويصفع أبو عبد الوهاب المُسنّ على وجهه. وذلك الفعل المُشين في قاموس أهل الدّيرة، جعلهم ينهالون عليه بالضّرب أمام والدته الّتي قامت فورًا بسحب كنعان ودفعه إلى داخل المنزل. حاول الإفلات من يديها ليضرب أبو عبد الوهاب، ولكن بلا فائدة.

كانت سالمة تحاول مساعدة ابنها الّذي يتعرّض للضّرب المبرّح من كلّ جانب وفي كلّ موضع في جسده السّمين. أصبحت تبكي وتدعو عليهم بحرقة وهي تصرخ، رغبة في المساعدة. بينما يقف كنعان داخل المنزل بلا حول ولا قوة. شعر

بغضب عظيم، لم يشعر به طوال حياته. كانت النّار تجري بسرعة في جسده، حارقةً كلّ شيء. فهرع راكضًا ناحية المطبخ، التقط سكّينا طويلا. وخرج من الباب الخلفيّ للمنزل ناحية حوش الغنم.

وقف بخوف وهو يحمل السّكين وسط حوش الغنم. كانت يده ترتعش وهو ينظر إلى الأغنام السّوداء، ويسمع في الخلفيّة أصوات الرّجال يضربون عمّه. فقام بسرعة وبلا تفكير بطعن أحد الخِراف في البطن عدّة مرّات، وهو يصرخ «بإسم زعلوج». بعد وهلة أصبح الخروف يضرب بقدميه في الهواء، كأنّهُ يحاول إبعاد ملك الموت عنه. وقف كنعان في مكانه خائفًا، ودم الخروف يجري من تحت قدميه.

لون السّماء تغيّر، لم يعد أزرق كالسّابق، بل اكتسى لون زهريّا فاتحا. وعلى الرّغم من أنّ البحر يبعُد عنه مئات الكيلومترات، فقد شعر في داخله أنّه جفّ.

سار بخطوات بطيئة وصولًا إلى باب المنزل. كانت الدّماء تسيل منه وكأنّه خرج من معركة دامية للتّوّ، وجد جدّته سالمة تقف في مكانها مذهولة، لم تكن تتحرّك كأنّها مُحنّطة. سار بجانبها دون أن ينظر إليها، ثمّ تقدّم قليلًا وإذا بِهِ يرى عمّه شدّاد مُلقى على الأرض، لا يتألّم رغم تغيّر لون وجهه، نتيجة الضّرب المبرّح الّذي تعرّض له. لاحظ أن عمّه ينظر إلى الأعلى وبلا وعي، رفع رأسه هو الآخر نحو السّماء الزّهريّة.

Telegram:@mbooks90

حينها شاهد جميع الرّجال الّذين كانوا يضربون عمّه طائرين في السّماء، على بعد مئة متر على الأقل، يصرخون خوفًا، ويتخبّطون في الهواء هلعًا. نظر إليهم كنعان، فكّر لوهلة، أنّهُ يريدهم أن يسقطوا على الأرض بقوّة، وذلك ما حدث بالفعل، تمامًا كالأيّام الخوالي. علا صوتٌ في ذهنه «لقد عادت إليّ عبقريّتي».

كنعان المخاوي

بعد تلك الحادثة، مرضت سالمة مرضًا شديدًا، قبل أن تموت من شدّة خوفها. لقد أُصيبت بحالة هستيريّة جنونيّة. ولم يخرج شدّاد من المنزل أبدًا، حبس نفسه في غرفته دون أن يتحدّث لأحد حتّى يومنا هذا. أمّا الرّجال السّبعة، فقد تهشّمت عظامهم وجماجمهم، وأصبحت كالبقعة السّائلة على الأرض. وما إن غابت الشّمس، حتّى اختفى أثرهم، ولم يعرف أحدٌ في الدّيرة عمّا جرى في تلك اللّيلة.

ترك كنعان الدّيرة، فقد شعر أنّ ما فعله كبيرٌ على الغفران. أمّا علاقته مع جماعة زعلوج، فقد غدت مثاليّة وفوق ما كان يأمل أن تكون. أصبحوا يفعلون كلّ ما يطلبه منهم. لعلّهم لم يتوقّعوا أن يقوم كنعان بتقديم قُربانٍ بهذا الحجم.

عاد كنعان ليعيش في منزل عائلته القديم. وأمر جماعة زعلوج، أن يحضروا له والدهُ جابر وأمّه شريفة. ليعيش معهم حياة آمنة في منزلهم الصّغير. يفعل ما يحلو لهُ في غرفته مستمتعًا بقدراته الخارقة الّتي قد بلغت ذروتها، حتّى أنّه أصبح قادرًا على استحضار محبوبته هيفاء كلّما دعت الحاجة لذلك.

يتغيّب عن المدرسة كيفما يشاء، ويضرب جميع الطّلاب في الصّفّ، حتّى المُعلّمين أحيانًا، وينجو من كلّ عقاب بمساعدة جماعة زعلوج المُخلصين. وهكذا عاش الطّفل كنعان، أو كما عُرف لاحقًا، كنعان المخاوي.

Telegram:@mbooks90